

روح المعاني

جاء بصريح حرف الاضطراب في الرد فقل : بل لا يؤمنون وعقب بقوله تعالى : فليأتوا ثم من لا يؤمن أشد إنكارا له من الطاغى كما أن المفترى أدخل في الكذب من الشاعر ثم أخذ في أسلوباً بلغ في الرد على مقالاتهم الجنون والكهانة لتقاربهما ثم الشعر ثم الافتراء حيث نزل القائلين منزلة من يدعى أنه خلق من غير شيء أي مقدر وخالق وإلا لأهمهم البحث عن صفاته وأفعاله فلم ينكروا منك ما أنكروا ومن حسب أنه مستغن عن الموجد مسبب رسوله إلى الجنون والكهانة لابل كمن يدعى أنه خالق نفسه فلا خالق له لبحث عن صفاته فهو ينسبه إلى الشعر إذ لا يرسل إليه البتة والشعر أدخل في الكذب لا بل كمن يدعى أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما فهو ينسبه إلى الافتراء حيث لم يرسله ثم اضرب صريحا عنه بقوله تعالى : بل لا يوقنون ومن لا إيقان له بمثل هذا البديهي لا يبعد أن يزك بما وزن فكأنه قيل : مقالته تلك تؤدي إلى هذه لا أنهم كانوا قائلين بها إظهارا لتماديهما في العناد ثم بولغ فيه فجاء بما يدل على أن الرسول لا بد أن يكون مفترى غير صالح للنبوّة في زعمهم فالأول لما لم تعدد الآلهة إنما يدل على افتراءه من حيث أن أحد الخالقين لا يدعو الآخر إلى عبادته والثاني يمنعه بالكلية لأنه إذا كان عندهم جميع خزائن ربه وهم ما أرسلوه لزم أن يكون مفترى البتة وأدمج فيه إنكارهم للمعاد ونسبتهم إياه ص - في ذلك أيضا خاصة إلى الافتراء والحمل على خزائن القدرة أظهر لأن أم عندهم الغيب إشارة إلى خزائن العلم ولما كان المقصود هنالك أمر البعث على ما سيحقق إن شاء الله تعالى كان هذا القول أيضا من القبول بمكان ولا يخفى ما في قوله تعالى : أم هم المسيطرون من الترقى ثم لما فرغ من ذلك وبين فساد ما بنوا عليه أمر الإنكار بدليل العقل قيل : لم يبق إلا المشاهدة والسمع منه تعالى وهو أظهر استحالة فتكهم بهم وقيل : بل لهم سلم يستمعون وذيل بقوله تعالى : أم له البنات إشعاراً بأن من جعل خالقه أدون حاله لم يستبعد منه تلك المقالات الخرقاء كأنه صلى الله عليه وسلم وقيل : ناهيك بتساوي الطعن في البطالان وبما يلقون من سوء مغبتهم ثم قيل : أم تسألهم أجرا أي إن القوم أرباب ألباب وليسوا من تلك الأوصاف في شيء بل الذي زهدهم فيك أنك تسألهم أجرا مالا أو جاها أو ذكرا وفيه تهكم بهم وضم لهم بالحسد واللؤم وأنهم مع قصور نظرهم عن أمر الميعاد لا يبنون الأمر على المتعارف المعتاد إذ لا أحد من أهل الدنيا وذوي الأخطار يجبه الناصح المبرأ ساحتة عن لوث الطمع بتلك المقالات على أنه حسد لاموقع له عند ذويه فليسوا في أن يحصل لهم نعمة النبوّة ولا هو ممن يطمع في نعيمهم إحدى الثلاث ثم قيل : أم عندهم الغيب على معنى بل أعندهما اللوح فيعلمون كل ما هو كائن ويكتبون فيه تلك

المعلومات وقد علموا أن ما تدعيه من المعاد ليس من الكائن المكتوب والمقصود من هذا نفي
المنبأ به أعني البعث على وجه يتضمن دفع النبوة أيضا إدماء عكس الأول ولهذا آخره عن قوله
تعالى : أم لهم سلم فقد سلف أن مصعب العرض حديث النبأ والمنبأ والمنبأ به فقضي الوطر من
الأولين معالرمز إلى الأخير ثم أخذ فيه مع الرمز إليهما قضاء لحق الإعجاز ففي الغيب
إشارة إلى الغيب أعني الساعة أول كل شيء وفيه ترق في الدفع من وجه أيضا لأن العمل أشمل
موردا من القدرة ولأن الأول إنكار من حيث أنهم لم يرسلوه وهذا من تلك الحثية ومن حيث
أنهم ما عملوا بإرسال غيره إياه أيضا مع إحاطة عل لكنه غير مقصود قصدا أوليا ثم ختم الكلام
بالإضراب عن الإنكار إلى الأخبار عن حالهم بأنهم يريدون بك كيدا فهم ينصبو لك الحبائل قولا
وفعلا